﴿۞قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلۡبَأۡسَ إِلَّا قَلِيلًا ١٨﴾ [الأحزاب: 18]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الانتقالُ مِنَ الخطابِ بالإقناعِ المباشرِ إلى التَّهديدِ الإشاريِّ

لَمّا أخْبَرَتِ الآياتُ السّابقة عن علمه سُبْحانَهُ بِما أوْقَعه المنافقون مِن أسْرارِهِمْ، وأمرهُ ﷺ بِوَعْظِهِمْ؛ حَذَّرَهم بِدَوامِ عِلْمِهِ سبحانه لِمَن يَخونُ مِنهُمْ، وإذا كانوا يُخْفونَ مَقاصِدَهُمْ عَنْ رَسولِ اللّه ﷺ، فَلا يَشْعُرُ بِمُرادِهِمْ مِنَ الاسْتِئْذانِ، فإنَّ اللّه مطَّلِعٌ على كلِّ ذلك[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡمُعَوِّقِينَ﴾: (عوق) عاقَهُ عَنِ الشَّيْءِ يَعوقه عَوْقًا: صَرَفَهُ، وحَبَسَهُ، ومِنْهُ التَّعْويقُ والاعْتياق، وذَلِكَ إذا أراد أمرًا، فَصَرَفَهُ عَنْهُ صارفٌ، والتَّعْويقُ: تَرْبيثُ النّاسِ عَنِ الخَيْرِ، وعَوَّقَه وتَعَوَّقه واعْتاقَه كُلُّهُ: صَرَفَهُ وحَبَسَهُ، ورَجُلٌ عوقَة وعوق وعَوق، أي: ذو تَعْويقٍ لِلنّاسِ عَنِ الخَيْرِ وتَرْبيثٍ لأصحابه[2]، والتَعَوُّقُ: التَّثَبُّطُ، والتَّعْويقُ: التَّثبيطُ[3]، والعائِقُ: الصّارِفُ عَمّا يُرادُ مِنْ خَيْرٍ، ومِنْهُ: عَوائِقُ الدَّهْرِ[4]، و﴿ٱلۡمُعَوِّقِينَ﴾ في الآية: قومٌ مِنَ المُنافِقينَ كانوا يُثَبِّطون أنصارَ النَّبيِّ ﷺ، وذَلِكَ أنَّهم قالوا لَهُمْ: ما محمَّدٌ وأصحابه إلّا أُكَلَةُ رأسٍ، ولَوْ كانوا لَحْمًا؛ لالتَقَمَهُمْ أبو سُفْيانَ وحِزْبُه، فخلّوهم، وتَعالَوا إلينا[5].

2) ﴿هَلُمَّ﴾: (هلم) لَيْسَ فيهِ إلّا قَوْلُهُمْ: هَلُمَّ: كَلِمَةُ دَعْوَةٍ إلَى

(1) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 314، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 293.
(2) ابن منظور، لسان العرب: (عوق).
(3) الجوهري، الصحاح: (عوق).
(4) الراغب، مفردات القرآن: (عوق).
(5) ابن منظور، لسان العرب: (عوق).

شَيْءٍ، أي: أَقْبِلْ[1]، وهَلُمَّ اسمُ فعلِ أمرٍ للحضورِ أو الإحضارِ، فتكونُ قاصرةً كقوله تعالى: ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾، وتكونُ مُتَعَدّيَةً، وهيَ في لُغَةِ أهل الحِجازِ تكونُ لِلواحِدِ والاثنَيْنِ والجَمْعِ والذَّكَرِ والأُنثى بلفظٍ واحِدٍ، وأهلُ نَجْدٍ يُصَرِّفونَها، وأمّا في لُغَةِ بَني تَميم وأهل نَجْدٍ؛ فإنَّهم يَقولونَ لِلْواحِدِ: هَلُمَّ، ولِلاثْنَيْنِ هَلُمّا، ولِلْجَمْعِ هَلُمّوا[2]، وأصل هَلُمَّ: (ها أُلُمَّ)، فـ(ها) للتَّنْبيه، و(أُلُمَّ) مَعْناهُ: اقصد إلينا، وأقْبل إلينا، لَكِن كَثُرَ الاسْتِعْمال فيها، فَحُذِفَت ألفُ الوَصْلِ من (أُلُمَّ) لمّا تَحَرَّكَتِ اللّامُ بضمَّةِ الميمِ الأولَى عِنْد الإدْغام، فَصارَت (ها لُمَّ)، فحذفت ألف (ها)؛ لسُكونِها وسُكون اللّام بعْدها؛ لِأنَّ حركَتَها عارضةٌ؛ فَلم يُعْتَدَّ بحركتها؛ لِأنَّها عارضة، فاتَّصلت الهاء بِاللّام، فَصارَت (هَلُمَّ)، وفتحت الميم لالتقاء السّاكِنَيْنِ[3]، والمرادُ بِها في الآية: أقْبِلوا إلينا.

3) ﴿ٱلْبَأْسَ﴾: (بأس) أصْلٌ واحِدٌ، يَدُلُّ على الشِّدَّةِ وما ضارَعَها، فالبَأْسُ الشِّدَّةُ في الحَرْبِ، ورَجُلٌ ذو بَأْسٍ وبَئِيسٌ، أيْ: شُجاعٌ[4]، والبَأْساءُ من البُؤْس: ضِدُّ النُّعْمَى والنَّعماء[5]، يُقالُ: لا بَأْسَ عَلَيْكَ في هَذا، أيْ: لا شِدَّةَ، وتُسَمَّى الحَرْبُ بَأْسًا؛ لِما فيها مِنَ الشِّدَّةِ والعذابِ[6]، وفي حَديثِ عَليٍّ رضي الله عنه: "كُنّا إذا احْمَرَّ البَأْسُ، ولَقيَ القَوْمُ القَوْمَ؛ اتَّقَيْنا بِرَسولِ اللّه ﷺ، فَما يَكونُ مِنّا أحَدٌ أدْنَى إلَى القَوْمِ مِنْهُ"[7]، يُريدُ الخَوْفَ، ولا يَكونُ إلّا مَعَ الشدَّة[8]، والمُرادُ بالبأس هَهُنا: القتالُ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تُحذِّر الآية الكريمةُ المنافقينَ بدوامِ عِلْمِ اللّه تعالى بالخائِنينَ منهم، ووَبَّخَهُم بإخْبارِ نَبيِّهِ ﷺ أنَّ اللّهُ يَعْلَمُ الَّذينَ يُعَوِّقونَ النّاسَ عَنْ نُصْرَتِهِ ﷺ، ويَمْنَعونَهُم بالأقْوالِ والأفْعالِ، ويَعلَمُ القائِلينَ لِإخْوانِهِم وأصْحابِهِم مِنْ أهْلِ المَدينةِ: تَعالَوا إلَى ما نَحْنُ فيه مِنَ الإقامَةِ في

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (هلم).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (هلم).
(3) مكي بن أبي طالب، مشكل إعراب القرآن: 2/ 575.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بأس).
(5) الأزهري، تهذيب اللغة: (بأس).
(6) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 5/ 220.
(7) مسند أحمد، مسند العشرة المبشرين بالجنة، حديث رقم: (1364).
(8) ابن منظور، لسان العرب: (بأس).

البَساتين تحْتَ الظِّلالِ والثِّمارِ، واتْرُكوا مُحَمَّدًا والحربَ مَعَه، فإنَّ القومَ ظافرونَ بهم - لا محالةَ - لكثرةِ عَدَدِهم، ولا يَأْتي المنافقونَ الحربَ أو القتالَ، إلّا زَمَنًا قليلًا أو شيئًا يَسيرًا؛ إذا اضطرّوا إليه، خوفًا منَ الموتِ أو القتلِ، فَهُم لا يَحْضُرون القتالَ إلّا رياءً وسُمْعَةً.

من علامة المنافقين التَّخذيلُ عن المؤمنين

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ فَصْلِ الآيةِ عَمّا قَبْلَها:

فُصِل قَولُه تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ عمّا قبله؛ لأنَّه اسْتِئْنافٌ بَيانيٌّ ناشِئٌ عَنْ قَوْلِه تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ لِأنَّ ذَلِكَ يُثيرُ سُؤالًا يَهْجِسُ في نُفوسِهِمْ أنَّهم يُخْفونَ مَقاصِدَهم عَنْ رَسولِ اللّه ﷺ، فَلا يَشْعُرُ بِمُرادِهِمْ منَ الاسْتِئْذانِ، فَأُمِرَ أنْ يَقولَ لَهم: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾، أيْ: فاللّه يُنْبِئُ رَسولَهُ بِكم بِأنَّ فِعْلَ أولَئِكَ تَعْويقٌ لِلْمُؤْمِنينَ، وقَدْ جُعِلَ هَذا الاسْتِئْنافُ تَخَلُّصًا لِذِكْرِ فَريقٍ آخَرَ مِنَ المُعَوِّقينَ[1].

هواجسُ النُّفوسِ لا تَخْفَى عَلَى علّامِ الغُيوبِ

دلالَةُ دُخولِ ﴿قَدْ﴾ عَلَى الفِعْلِ المُضارِعِ:

في قَولِ اللّه ﷻ: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ ابتدأ النَّظْمُ الحكيمُ بالحرف ﴿قَدْ﴾، وقدْ تعدَّدتْ أقوالُ العلماءِ في توجيهِ معناها في الآيةِ الكريمةِ، فذهبَ أغْلَبُ المُعربينَ والمُفَسِّرينَ إلى أنَّ ﴿قَدْ﴾ هَهُنا حرفُ تحقيقٍ؛ لأنَّ علمَ اللّهِ محقَّقٌ مؤكَّدٌ في كُلِّ زَمَنٍ[2]، ولِأنَّ المنافقين لمَرَضِ قُلوبِهِمْ يَشُكّونَ في لازِمِ هَذا الخَبَرِ، وهو إنْباءُ اللّه رَسولَهُ ﷺ بِهِمْ، أوْ لِأنَّهم لِجَهْلِهِم النّاشِئِ عَنِ الكُفْرِ يَظُنّونَ أنَّ اللّه لا يَعْلَمُ خَفايا القُلوبِ، وذَلِكَ لَيْسَ بِعَجيبٍ في عَقائِدِ أهْلِ الكُفْرِ، فَلِلتَّوْكيدِ بِحَرْفِ التَّحْقيقِ مَوْقِعٌ، ودُخولُ (قَدْ) على المُضارِعِ لا يُخْرِجُها عَنْ مَعْنى التَّحْقيقِ عِنْدَ المُحَقِّقينَ مِن أهْلِ العَرَبيَّةِ، وأنَّ

يجتمع لمعنى (قد) التَّحقيق والتعليل والتَّهكُّم بالمنافقين

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 293.

(2) الخطيب وآخرون، التفصيل في إعراب آيات التنزيل: 21/ 248.

ما تَوَهَّموهُ مِنَ التَّقْليلِ إنَّما دَلَّ عليه المَقامُ في بَعْضِ المَواضِعِ لا مِن دَلالَةِ (قَدْ)، ومِثْلُهُ إفادَةُ التَّكْثيرِ، وذهبَ ابنُ جُزيٍّ إلى أنَّ (قد) دخلتْ على الفعلِ المضارعِ بمعنى التهديد، وقيل: للتَّعليل على وجه التهكُّم[1]، وأثبتَ البقاعيُّ أنَّها للتحقيق وتقريب الماضي، والإيذان بِدَوامِ هَذا الوَصْفِ لَهُ سُبحانَه، ووجَّه الرأي القائلَ: إنَّها تفيدُ التَّقليلَ، فقال: ولَعَلَّهُ عَبَّرَ بـ﴿قَدْ﴾ الَّتي رُبَّما أفْهَمَتْ في هَذِهِ العِبارَةِ التَّقْليلَ؛ إشارَةً إلى أنَّهُ يَكْفي مَن لَهُ أدْنى عَقْلٍ في الخَوْفِ مِن سَطْوَةِ المُتَهَدِّدِ احْتِمالَ عِلْمِهِ[2]، والظاهرُ أنَّها للتَّحقيقِ، وإنْ كانَ سياقُ الآيةِ يُرَشِّحُ لِمَعاني التَّهْديدِ والتَّهَكُّمِ والتَّعْليلِ والتَّقْليلِ في حقِّهم، لا في حقِّ اللهِ سُبحانَه، فَإنَّ عِلمَه سُبْحانَه كاملٌ تامٌّ لا يتغيَّر، ولا ينقصُ، وفي جمْعِ النَّظْمِ لهذه المعاني الكثيفةِ في هذا اللفظ وحده دليلٌ باهرٌ على إعجاز القرآنِ.

بلاغةُ الكناية في اسْتعمالِ مفردةِ العلِمِ:

الإخبارُ بالعِلْمِ تهديدٌ ضمنيٌّ وتحذيرٌ ربّانيٌّ

دلَّ استعمالُ مفردة العلم في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ على أنَّه سُبحانَه يعلمُ دَخائِلَ نُفوسِهم، كما يعلم ظواهرَها، وقدْ عَلِمَ اللهُ بعلمِه الأزليِّ حقيقةَ نفوسِ المُنافقينَ وما يدورُ فيها من عدَمِ التَّصديقِ باللهِ ورسولِه الكريم ﷺ، وهو كنايةٌ عن تهديدهم تهديدًا غير مباشر، فإنَّ العِلمَ يُطلَقُ على لازمه، وهو تعذيبُهم وهلاكهم.

دلالَةُ التَّعْبيرِ بالمُضارِعِ:

تهديدُهم باستمرار علم الله تعالى بكلِّ أحوالهم

في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ استعملَ النَّظْمُ الحكيمُ الفعلَ المُضارعَ ﴿يَعْلَمُ﴾ دونَ الماضي، وذلك لإقامةِ الحجَّة على المنافقين، وديمومة تحذيرِهم بأنَّ الله عالمٌ مطَّلع على كلِّ ما

(1) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل: 2/ 148.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 293.

يحدث منهم، ويتجدَّد، سواء في قلوبهم أم بأفعالهم، فلا يخفون شيئًا إلّا وقد علمه الله، ولا يكيدون كيدًا إلّا وهو مطَّلع عليهم.

فائدةُ إسْنادِ العِلْمِ إلى لَفْظِ الجَلالةِ:

ذِكْـرُ الاسْـمِ الجليلِ أدعَى لإيقاعِ الرَّهْبَةِ في قلوبِ المنافقينَ

أسْنَدَ النَّظْمُ الحكيمُ فعلَ ﴿يَعْلَمُ﴾ إلى لفظِ الجلالةِ ﴿ٱللَّهُ﴾، في قوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾، دون أن يُبنى للمفعولِ؛ لتفخيم الموقفِ، وتعظيم شأنِ المخالفةِ، وتحذير المنافقين، ولإظْهارِ عظيمِ سلطانِه واقتدارِه عليهم، والتَّذكير ببأسِه الَّذي لا يُرَدُّ، ولإيقاع المَهابةِ في نُفوسِهم الَّتي ضلَّتْ، وأضَلَّتْ، وأمْعَنَتْ في الاستِخْفافِ بقدرَتِه وعلمِه، فكان إظْهارُ الاسمِ الجليلِ بمنزلة التَّنبيهِ والتَّذْكيرِ لهؤلاءِ العصاةِ لعلَّهم يرجِعونَ إلى رُشْدِهم.

دلالةُ تعريفِ لفظِ ﴿ٱلْمُعَوِّقِينَ﴾:

التَّـعـويـقُ من صفاتِ المنافقينَ الرّاسخةِ فيهم

التَّعريفُ في كلمةِ ﴿ٱلْمُعَوِّقِينَ﴾ للعهدِ الذِّهنيِّ، فهي صفةٌ أخرى من صفاتِ أولئكَ النّاكثينَ للعهدِ الفارّينَ مِنْ ساحةِ المعركةِ، فذَكَرَهُمُ النَّظْمُ الحكيمُ بهذِه الصِّفةِ، وهيَ صفةُ التَّعويقِ عن الجهادِ في سبيلِ اللهِ بعدَ أنْ فَرّوا مِنْ ساحةِ المعركةِ، فلَمْ يكتفوا بمَعَرَّةِ الفرارِ حتَّى أضافوا لَهُ معرَّةً أُخْرى، هي مَعَرَّةُ التَّعويقِ والتَّثبيطِ.

نكتةُ التَّعبيرِ بصيغةِ اسم الفاعل:

تعويقُ المنافقينَ كـثـيرٌ مـتـجـدِّدُ الحدوثِ

استعمل النَّظمُ الكريم صيغةَ اسم الفاعل في قوله تعالى: ﴿ٱلْمُعَوِّقِينَ﴾، والمُعَوِّقُ: اسْمُ فاعِلٍ مِن: عَوَّقَ، الدالُّ عَلى شِدَّةِ حُصولِ العَوْقِ، فالتَّضْعيفُ فيهِ لِلشِّدَّةِ والتَّكْثيرِ، مِثْلَ: قَطَّعَ الحَبْلَ؛ إذا قَطَعَهُ قِطَعًا كَبيرَةً، ويَكونُ لِلتَّكْثيرِ في الفِعْلِ القاصِرِ، مِثْلَ: مَوَّتَ المالُ؛ إذا كَثُرَ المَوْتُ في الإبِلِ، والمَعْنى: يَعْلَمُ اللهُ الَّذينَ يَحْرِصونَ عَلى تَثْبيطِ النّاسِ عَنِ القِتالِ[1]، ولأنَّ اسمَ الفاعلِ إنَّما يفيدُ ثَباتَ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 294.

الصِّفَةِ ودوامَها، وفي ذلكَ إشارةٌ إلى تصميمِ هؤلاءِ المنافقينَ وشدَّةِ عزْمِهم على تعويقِ المسلمينَ عنِ الجهادِ نكولًا عن مؤازَرةِ الحقِّ، وإيثارًا للباطلِ وحِزْبِه.

بلاغةُ استعمالِ مفردةِ ﴿ٱلْمُعَوِّقِينَ﴾:

جاء اختيار مفردة ﴿ٱلْمُعَوِّقِينَ﴾ في بيان وصف فعلِ المنافقينَ وصَدِّهم عن الجهادِ، والمرادُ بالتَّعْويق تَرْبيثُ النّاسِ عَنِ الخَيْرِ، والمُعَوِّقون قَوْمٌ مِنَ المُنافقينَ كانوا يُثَبِّطون أنصارَ النَّبيِّ ﷺ، وذَلِكَ أنَّهم قالوا لَهُمْ: ما محمَّدٌ وأصحابُه إلّا أُكَلَةُ رأْسٍ[1]، وقدْ عَدَلَ النَّظْمُ الحكيمُ عنِ استعمالِ ألفاظٍ أخرى كلَفْظِ (المُثَبِّطينَ)؛ لأنَّ التَّثبيطَ هوَ ثِقَلُ الشَّيءِ في مَكانِه بحيثُ لا يكادُ يُفارِقُهُ، ورَدُّكَ الإنسانَ عَنِ الشَّيْءِ يَفْعَلُهُ[2]، أمّا التعويقُ؛ فهوَ اعتراضُ الاطِّرادِ والاستقامةِ بالتواءٍ أو حُيودٍ، فالتَّعويقُ يتضمَّنُ معنًى زائدًا عنِ التَّثْبيطِ، وهوَ الالتواءُ والحُيودُ عنِ القصْدِ، فهُم مثبِّطونَ تَثْبيطَ تَكْريهٍ وعُقوقٍ، يُسارِعونَ فيهِ إسْراعَ الواقِعِ بِغَيْرِ اخْتيارِهِ[3]، بخلافِ التَّثبيطِ الَّذي هوَ بطءٌ وتثقيلٌ.

المنافقون في دركات النِّفاقِ متفاوتون ما بين جبانٍ ومعوِّق

نوعُ (من) ودلالَتُها:

حرف (من) الدّاخل على كاف الخطاب ﴿مِنكُمْ﴾ بيانٌ للمُعَوِّقينَ[4]، فيكون الخطابُ للمُنافقينَ جميعًا، وهم الَّذينَ خوطبوا بقَوْلِهِ: ﴿لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ﴾[5]، وقد يكون حرف (من) للتبعيض، وفي هذا دلالَةٌ على أنَّ مِنَ المُنافقينَ مَنِ اكتفى بالفرارِ، ومنْهُم مَنْ زادَ على ذلكَ، فعوَّقَ بعضَ المسلمينَ عن اللَّحاقِ برسولِ اللّه ﷺ ونُصْرَتِه.

نوعُ واوِ العطف ودلالتها:

عَطَفَ النَّظْمُ الكريمُ قولَه تعالى: ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾

الـنُّـفـوسُ المريضة تدعو إلى الأفعال الشنيعة

(1) ابن منظور، لسان العرب: (عوق).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (ثبط).
(3) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 314.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 161.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 294.

على ﴿ٱلۡمُعَوِّقِينَ﴾، وقد اختلفتِ الأنْظارُ في المرادِ بهذه الصفة ﴿وَٱلۡقَآئِلِينَ﴾؛ إذْ يَجوزُ أنْ يَكونَ القائِلونَ لإخْوانِهِمْ: هَلُمَّ إلَيْنا، المُعَوِّقينَ أنْفُسهم، فَيَكونَ مِن عَطْفِ صِفاتِ المَوْصوفِ الواحِدِ، ويَجوزُ أنْ يَكونوا طائِفَةً أُخْرى، وإخْوانُهُمْ هُمُ الموافِقونَ لَهُمْ في النِّفاقِ[1]، وسواءٌ أكان عطفَ صفاتٍ أم عطفَ أشخاصٍ، فإنَّ في العطفِ مزيدَ بيانٍ لحال هؤلاءِ المنافقينَ.

احتمالُ الواوِ لأنواعٍ من العطفِ من سعةِ النَّظمِ وكثرةِ معانيه

دلالة تعريفِ لفظِ ﴿وَٱلۡقَآئِلِينَ﴾:

التَّعريفُ في كلمةِ ﴿وَٱلۡقَآئِلِينَ﴾ للعهدِ الذِّهنيِّ، فهي إمّا صفةٌ أخرى للنّاكثينَ للعهدِ الفارّينَ مِنْ ساحةِ المعركةِ، أوْ هي دالةٌ على فريقٍ آخرَ غيرِهم كانوا يعوِّقونَ الناس عن الجهادِ مع رسول الله ﷺ، وقيلَ: هَؤُلاءِ اليَهودُ كانوا يَقولونَ لأهْلِ المَدينَةِ: تَعالَوا إلَيْنا، وكونوا مَعَنا، وكَأنَّ المُرادَ مِن أهْلِ المَدينَةِ المُنافقونَ، مِنهُمُ المَعْلومُ نِفاقُهم عِنْدَ اليَهودِ[2]، ويمكن الجمعُ بينَ هذه الأقوالِ بأنَّهُم جميعًا من المتآمرينَ على المسلمينَ، وفي ذلكَ دلالةٌ ظاهرةٌ على شدَّةِ التآمرِ والمكرِ بالمُسلمينَ في غزوةِ الأحزابِ.

ما أكثرَ القائلين للباطلِ المتوارين بأستارِ الحقِّ!

نكتةُ استعمال لفظ ﴿وَٱلۡقَآئِلِينَ﴾:

استعمل النَّظْمُ الحكيمُ لفظَ ﴿وَٱلۡقَآئِلِينَ﴾، دونَ غيرِهِ من أوصافِ المنافقين؛ لصدورِ القولِ عنهم، ولبيانِ خطورةِ الأقوالِ والشائعاتِ عامَّةً، وفي أزمِنَةِ الحربِ خاصَّةً؛ إذ إنَّ لَها أثرًا هدّامًا في نفوسِ المتردِّدينَ، ولإثباتِ أنَّ هؤلاءِ القومَ إنَّما قُصاراهُم القولُ دونَ الفعلِ، فليسوا برجالِ حربٍ ومُعارَكةٍ ومسايفةٍ.

الشّائعاتُ من أكثرِ وسائلِ النِّفاقِ في الحربِ النَّفسيَّة

فائدةُ التَّعبير باسم الفاعل:

آثرَ النَّظْمُ الحكيمُ التَّعبيرَ بصيغةِ اسم الفاعل ﴿وَٱلۡقَآئِلِينَ﴾؛

إصرارُ المنافقينَ وشدَّةُ عَزْمِهِم على الشّائِعاتِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 294.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 161.

وذلكَ لأنَّ اسمَ الفاعلِ يفيدُ ثَباتَ الصِّفَةِ ودوامَها، وفي ذلكَ إشارةٌ إلى إصرارِ هؤلاءِ المنافقينَ وشدَّةِ عزْمِهم على إثارةِ الشائعاتِ وتخذيلِ المسلمينَ عنِ الجهادِ مع رسولِ اللّهِ ﷺ ودَفْعِ غائلَةِ المشركينَ.

نكتةُ الجمعِ بصيغةِ ﴿لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ دونَ (إخوتِهم):

الإخوةُ تُستَعْمَلُ في النَّسبِ، والإخوانُ في الصَّداقةِ وعمومِ المشاركة

جاء التَّعبير بلفظ ﴿لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ دون (إخوتهم) في قولِه تعالى: ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾؛ وذلكَ لأنَّ لَفْظَ (الأخ)، وإن كانَ يُجْمَعُ على (إخوة) و(إخوان)، فإنَّ أكثرَ ما يُسْتَعْمَلُ (الإخوانُ) في الأصدقاءِ، و(الإخوةُ) في أُخوَّةِ النَّسبِ؛ إذا كانوا لأبٍ، كما أنَّ الإخوةَ جَمْعُ قِلَّةٍ، والإخوانُ جَمْعُ كَثْرَةٍ فهيَ أنسبُ بالسّياقِ، وقدْ وردتِ (الإخوةُ) في القرآنِ الكريمِ بمعنَى إخوةِ النَّسبِ كقولِه تعالى: ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ [يوسف: 58]، وقولِه: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ﴾ [النساء: 11]، إلّا في موطنٍ واحدٍ، وهوَ قولُه تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10]، ويُمْكِنُ تَخْريجُهُ على أنَّهُم بِمنْزِلَةِ الإخْوةِ في النَّسَبِ؛ تَأكيدًا للأمرِ ﴿فَأَصْلِحُوا۟﴾ [الحجرات: 10]، وإشارةً إلى أنَّ بَيْنَهُم ما بينَ الإخوةِ مِنَ النَّسَبِ، والإسلامُ كالأبِ[1]، فالمُرادُ بالأخوَّةِ هنا: الأُخوَّةُ في الرَّأْيِ والدّينِ[2]، أي: التَّشارُكُ في الصِّفَةِ، وهو النِّفاقُ، أو الكُفْرُ بالنَّبيِّ صَلّى اللّه تَعالى عليه وسَلَّمَ، أو الصُّحْبَةُ والجِوارُ وسُكْنى المَدينَةِ، فَإنَّ ذَلِكَ يُجامِعُ الأُخوَّةَ في النَّسَبِ[3]، فجاءت صيغة (إخوان) لبيانِ اجتماعِهم في الفكرِ والسلوكِ والمصالحِ.

سِرُّ التَّعبيرِ بالأُخوَّةِ دونَ الصُّحْبَةِ:

من علامات المنافقين اجتماعهم على خذلان المؤمنين

آثرَ النَّظْمُ الحكيمُ التَّعبيرَ بعنوانِ الأُخوَّةِ دونَ الصُّحبةِ؛ لأنَّ في التعبيرِ بالأُخوَّةِ مِنَ المعاني ما ليسَ في الصُّحْبَةِ؛ إذِ الأُخوَّةُ أقوى مِنَ

(1) فاضل السامرائي، معاني الأبنية العربية، ص: 120.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 294.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 161.

الصُّحبةِ وأمْتَنُ، فالأُخوَّةُ أشدُّ تشابهًا وانسجامًا مِنَ الأصحابِ، وهم أدْعَى للعصبيَّةِ والمؤازرةِ والتناصرِ، حتَّى إنَّ الصاحب إذا اشتدَّت صحبتُه، وقويتِ العلاقةُ بينَه وبينَ صاحبه؛ شُبِّهَتِ العلاقةُ بالأُخوَّةِ لا العكس، ولمّا كانَ هؤلاءِ القومُ في اجتماعِهم على التكذيبِ والكيدِ للمسلمين كأشدِّ ما يكونُ؛ فقدْ عبَّرَ البيانُ القرآنيُّ بلفظِ الأُخوَّةِ دونَ لفظِ الصُّحبةِ.

فائدة استعمال ﴿هَلُمَّ﴾ دونَ مقارباتها:

أسماءُ الأفعالِ تـعـمـلُ عـلى تـقـويـة المعنى وإثـرائـه، وهـيَ أوسع دلالةً من الفعلِ

آثرَ النَّظْمُ الحكيمُ التَّعبيرَ بلفظِ ﴿هَلُمَّ﴾ في قولِه تعالى: ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ دونَ لفظِ (أقْبِلوا) أوْ (تَعالَوا) أوِ (احْضُروا) ونحوها؛ وذَلِكَ لأنَّ دلالةَ ﴿هَلُمَّ﴾ على الأمرِ بالإقبالِ أشدُّ من فعلِ الأمرِ (أقبلْ) ومرادفاته؛ إذْ هيَ اسْمُ فِعْلِ أمْرٍ بمَعْنى: أقْبِلْ في لُغَةِ أهْلِ الحِجازِ، وهي الفُصْحى، فَلِذَلِكَ تَلْزَمُ هَذِهِ الكَلِمَةُ حالَةً واحِدَةً عِنْدَهم لا تَتَغَيَّرُ عَنْها، وهي فِعْلٌ عِنْدَ بَني تَميم، فَلِذَلِكَ يُلْحِقونَها العَلاماتِ، فيَقولونَ: هَلُمَّ وهَلُمّي وهَلُمّا وهَلُمّوا وهَلُمْنَ[1]، وقدْ أشارَ بعضهم إلى أنَّ اسمَ الفعلِ يَخْتَلِفُ عنِ الفعلِ من حيثُ الدلالاتُ والاستعمالاتُ؛ إذ الفعلُ يحتملُ دلالةً واحدةً، أمّا دلالةُ اسمِ الفعلِ؛ فهيَ أوسعُ منهُ؛ إذ يحتملُ أكثرَ من دلالَةٍ، كما أنَّها تعملُ على تقويةِ المعنى وإثرائه[2]، كما أنَّ تخصيص اسم الفعل هَهُنا للأمرِ يجعل دلالَته أقوَى وأشدَّ، ومعنى ﴿هَلُمَّ﴾ هَهُنا: انخذلوا عَنْ جَيْشِ المُسْلِمينَ، وأقْبِلوا إلَيْنا، فهيَ تعطي من المعاني ما لا يوجد في الفعلِ (أقبل)، كما أنَّ وجودَ هاء التنبيهِ في اسم الفعلِ ﴿هَلُمَّ﴾ تُقَرِّبُ اللفظ إلى استعمالِ المنادى، ففيه استعطافٌ للمأمورِ واستدعاءٌ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 294.

(2) أحمد نجم الدين فتح الله، الفرق بين اسم الفعل والفعل: دراسة دلالية، وزهير محمد العرود، أسماء الأفعال في الاستعمال القرآني.

لإقباله على الأمرِ[1]، وهوَ ما يشيرُ إلى إصرارِ المنافقينَ وشدَّةِ حرصِهم على تعويقِ الناس عن نُصرَةِ رسول الله ﷺ والمؤمنين.

دَلالَةُ تَعْديَةِ ﴿هَلُمَّ﴾ بِحرفِ (إلى):

تصويرُ المعاني وتقريبها من دلالات اختيار الحروف

في قولِ اللهِ تعالى: ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ عَدَّى النَّظْمُ الحكيمُ اسمَ الفعلِ ﴿هَلُمَّ﴾ بحرفِ الجرِّ (إلى) دون الظرفِ (مع)؛ وذلكَ لأنَّ (إلى) تكونُ لانتهاءِ الغايةِ، أي: إنَّ الغايةَ مِنْ وراءِ هذه الدعوةِ الخبيثةِ انضمامُ بقيةِ الناس إلى المنافقينَ التاركينَ لساحةِ المعركة، وعدلَ عن استعمالِ الظرفِ (مع) الَّذي يَدُلُّ على المُصاحبةِ؛ لأنَّ القصدَ من اسمِ الفعلِ ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ أن يلحقَ بِهِم آخرونَ غيرُهم، فكأنَّ المنافقينَ منحازونَ إلى جهةٍ مُعيَّنَةٍ، وهم يدعونَ الناسَ للالتحاقِ بِهِم، ففيها تصويرٌ للمعنى، وتقريبٌ للغائب.

دَلالَةُ نونِ الجمعِ في ﴿إِلَيْنَا﴾:

الاجتماعُ على الباطلِ قد يودي بأهل الخيرِ

دخل حرفُ الجرِّ (إلى) على نون الجمعِ في قولِه تعالى: ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾؛ وذلكَ للدِّلالةِ على أنَّ المُحَرِّضينَ على التَّخَلّي عن رسول الله ﷺ في ساحة المعركةِ كانوا جماعةً متحزِّبينَ متآلبينَ على المسلمينَ، فَهُم يدعونَ غيرهم لترك رسول الله ﷺ كما فعلوا، ففيه دلالةٌ على أنَّ الاجتماعَ على الباطلِ من شيم أهل النِّفاق والشقاق.

نوعُ الواوِ ودلالتُها:

المنافقونَ أجبنُ النّاسِ عِندَ القتالِ، يَروغونَ مِنهُ رَوَغانَ الثَّعالِبِ

الواوُ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ للحالِ، أي: والحالُ أنَّهُم لا يقاتلون إلّا قِتالًا هَيِّنًا لا يُغني في الحربِ شَيئًا ذا نَفْعٍ، ولا يَدْفَعُ عَدوًّا، ويَجوزُ أنْ تكونَ عَطْفًا عَلى المُعَوِّقينَ والقائِلينَ؛ لِأنَّ الفِعْلَ يُعْطَفُ عَلى المُشْتَقِّ كَقَوْلِهِ تَعالى: ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣﴾

(1) الواحدي، التفسير البسيط: 8/ 519.

فَأَثَرْنَ﴾ [العاديات: 3 - 4] وقَوْلِه: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ﴾ [الحديد: 18]، فالتَّقْديرُ هُنا: (قَدْ يَعْلَمُ اللّه المُعَوِّقينَ والقائِلينَ وغَيْرَ الآتينَ البَأْسَ)، أوْ (والَّذينَ لا يَأْتونَ البَأْسَ)، ولَيْسَ في تَعْديَةِ فِعْلِ (العِلْم) إلى ﴿وَلَا يَأْتُونَ﴾ إشْكالٌ؛ لِأنَّهُ عَلى تَأْويلٍ، كَما أنَّ عَمَلَ النّاسِخِ في قَوْلِه: ﴿وَأَقْرَضُواْ﴾ [الحديد: 18] عَلى تَأْويلٍ، أيْ: يَعْلَمُ اللّه أنَّهم لا يَأْتونَ البَأْسَ إلّا قَليلًا، أيْ: يَعْلَمُ أنَّهم لا يَقْصِدونَ بِجَمْعِ إخْوانِهِمْ مَعَهُمُ الاعْتِضادَ بِهِمْ في الحَرْبِ، ولَكِنْ عَزْلَهم عَنِ القِتالِ[1].

براعةُ المجاز في استعمالِ مفردةِ الإتيان:

آثر النَّظْمُ الكريمُ استعمالَ فعلِ الإتيان في قولِ اللّه تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ عن القتالِ دونَ فعل (يُقاتلونَ) الصَّريح، وذلك للإشارةِ إلى أنَّهُم لا يقومونَ بأيِّ فعلٍ من أفعالِ الحربِ، فضلًا عن القتالِ المباشرِ، فعَبَّرَ عن القتالِ بالإتيانِ باعتبارِه سببَ القتالِ، فإن لم يأتوا؛ فلن يُقاتلوا على طريق المجاز المرسلِ، وفيه تجنُّبُ تشريفِهم بإسنادِ القتالِ إليهم، فإنَّ القتالَ في صُفوفِ المسلمينَ شرفٌ وكرامةٌ، والقتالُ يُعطيهِم قوَّةً ومهابةً، وفيهِ كذلكَ أنَّهُم إنْ شَهِدوا اللقاءَ؛ فكأنَّهُم يأتونَ الحربَ فقط زائرين مُشاهِدينَ، ولا يُقاتِلونَ، وكأنَّ هَدَفَهُم يتحقَّقُ بمجرَّدِ الإتيانِ؛ لأنَّهُم يراؤونَ[2]، فكانَ استعمالُ فعلِ (الإتيانِ) أوقعَ في الدِّلالةِ على ما في نفوسِهم من رياءٍ وما في قلوبِهم من خداعٍ.

اسمُ القتالِ في سبيل الله شرفٌ وكرامةٌ لا يُعطى إلّا لأهله

دَلالَةُ التَّعْبيرِ بالمُضارِعِ:

عبَّرَ البيانُ القرآنيُّ عن نُكولِ المنافقينَ عنِ الجهادِ معَ رسولِ اللّه ﷺ في قولِه تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ باستعمالِ المضارعِ المنفيِّ ﴿وَلَا يَأْتُونَ﴾؛ للدلالةِ على نَفْيِ الإتيانِ أصلًا في الحالِ، ونَفْيِ

تصويرُ إتيانِ المنافقين بأنَّه قليلُ الجدوى حقيرُ الأثر

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 295.

(2) محمد أبو موسى، من أسرار التعبير القرآني، دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، ص: 129 - 130.

تجدُّده في المستقبل، فالنَّظْمُ يبيِّنُ أنَّ هؤلاء القومَ لنْ يدفعوا معَ المسلمينَ اعتداءَ الكُفّارِ واليَهودِ؛ ما داموا على هذه الحالِ مِنَ النِّفاقِ والكفرِ، ولو جاءَ الفعلُ على صيغةِ المُضيِّ؛ لاحتملَ أن يدافعوا معهم في المستقبلِ، ولكنَّهُم قومٌ غادرونَ ناكثونَ للعهد، كما أنَّ في استعمالِ المضارعِ استحضارًا للصّورةِ، فكأنَّ المتلقّي يشاهدُ هؤلاءِ المنافقينَ، وهم يروغونَ ذاتَ اليمينِ وذاتَ الشمالِ دونَ أنْ يشاركوا في المعركةِ الدائرةِ حولَ المدينةِ، ودليله الاستثناء: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾.

براعةُ الاستِثْناءِ في بيان الحقائق:

الاحـتراز بإتيان البأس قليلًا مكرٌ يُراد منه تغطيةُ سوءَة النُّكوث

في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ عَبَّرَ النَّظْمُ الحكيمُ عن موقفِ المنافقينَ مِنَ الحرب باستعمالِ أداة الاستثناءِ ﴿إِلَّا﴾؛ إشارةً إلى مكرِ هؤلاء المنافقينَ وخداعِهم؛ إذْ لو اعتزلوا القتالَ اعتزالًا تامًّا؛ لتَيَقَّنَ المسلمونَ مِنْ خيانَتِهم، ونابذوهمُ السيفَ، فعبَّرَ الاستثناءُ عن حالِ خِداعِهم ومكرِهم، فَهُم يوهِمونَ المسلمينَ باشتراكِهم في القتالِ، ولكِنَّهم يشتركونَ اشتراكًا لا يُسْمِنُ، ولا يُغني لسترِ حالِهم.

دَلالَةُ حَذْفِ المَوصوفِ:

كـثرةُ المَعـاني الَّـتـي أشـارَ إليـها الـحـذفُ دليلٌ على شدَّةِ مكـرِ المنـافقينَ وخداعِهم

حذَفَ النَّظْمُ الحكيمُ الموصوفَ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، وقدْ تعدَّدتْ أقوالُ المعربينَ في إعرابِ ﴿قَلِيلًا﴾ وتقديرِ الموصوفِ قبْلَها، فقيل: إنَّها نائبٌ عن المفعولِ المطلقِ، صفةٌ لمصدرٍ محذوف، أي: إتيانًا قليلًا، وقيل: إنَّها نائبٌ عن الظرفِ، صفةٌ لظرفٍ محذوفٍ، أي: وقتًا قليلًا، وقيل: إنَّها حالٌ، وفي هذا الحذفِ دلالةٌ على كثرةِ المعاني التي أرادَ النَّظْمُ الحكيمُ الإشارةَ إليها بيانًا لفعلِ المنافقينَ المخادعينَ، فَقَدْ كانوا لا يَأْتونَ العَسْكَرَ إلّا ألّا يَجِدوا بُدًّا مِن إتْيانِه، فَيَأْتونَ؛ ليَرى النّاسُ وُجوهَهُمْ، فَإذا غَفَلوا عَنْهم؛ عادوا إلى بُيوتِهِمْ.

وإتْيانُ البَأْسِ عَلى هَذِهِ الأوْجُهِ عَلى ظاهِرِهِ، ويَجوزُ أنْ يَكونَ كِنايَةً عَنِ القِتالِ، والمَعْنى: ولا يُقاتِلونَ إلّا قِتالًا قَليلًا، كَقَوْلِهِ تَعالى: ﴿مَّا قَتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلَا﴾، وقِلَّتُهُ إمّا لِقِصَرِ زَمانِهِ، وإمّا لِقِلَّةِ غِنائِهِ.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والأربعون،
سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2025.
مج. 44 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-97-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 44 : المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-97-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4197137 بتاريخ 2025/01/02م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»